القِبلة في مساجد مدينة نابلس
Qibla in the Mosques of Nablus City

خالد قمحية

قسم الهندسة المعمارية، كلية الهندسة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

بريد إليكتروني: khaled@najah.edu

تاريخ التسليم: (٢٠٠٥/٥/٢)، تاريخ القبول: (٢٠٠٦/٢/٢٦)

ملخص

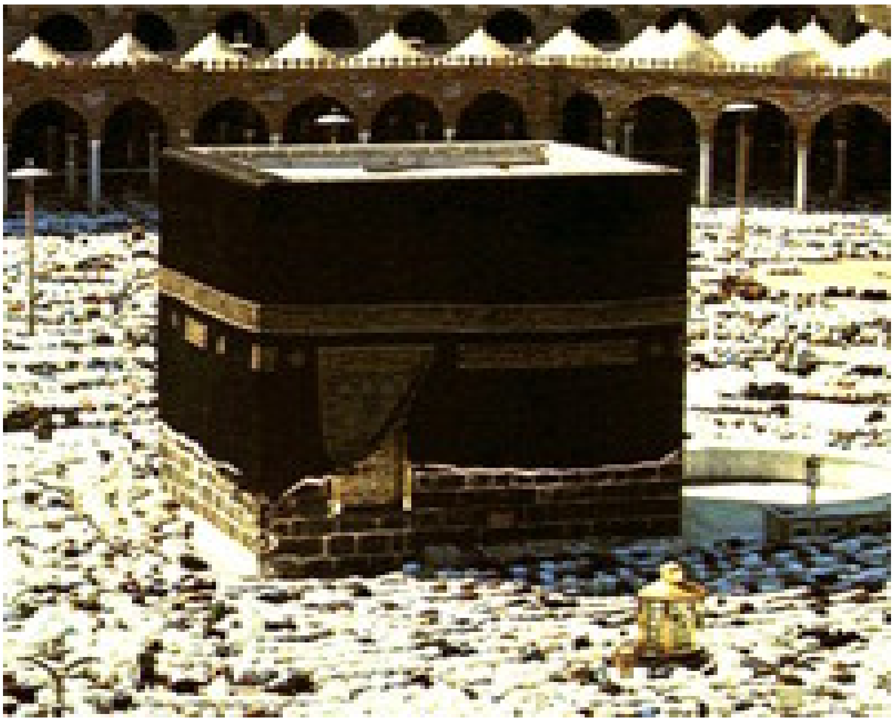
القِبلة هي الاتجاه نحو الكعبة المشرفة في مكة المكرمة، حيث يجب على كل مسلم أن يتجه إليها في صلاته. وفي المساجد تعرف القبلة بجدار القبلة الذي يحتوي على تجويف يدعى المحراب. هذه الورقة ستعمد إلى بيان أهمية القِبلة وطرق تحديدها، وضرورة استقبالها، وستطرق إلى مشكلة القِبلة في مساجد مدينة نابلس، حيث قام الباحث بعمل دراسة ميدانية، أشارت إلى أن القبلة المعتمدة في معظم هذه المساجد لا تتجه بشكل صحيح إلى مكة. فتبين أن قِبلة المساجد التاريخية القديمة تنحرف بمعدل ٢٦,٤ درجة نحو الغرب، في حين تنحرف قِبلة المساجد الحديثة بمعدل ١٧,١ درجة نحو الغرب أيضاً. كما تبين أن قِبلة المساجد التي بنيت بعد عام ١٩٩٦ أكثر دقة، رغم انحرافها بمعدل ٣,٧ درجة ولكن نحو الشرق. كما ستحلل هذه الورقة الأسباب الرئيسة وراء هذا الانحراف في اتجاه القِبلة في مساجد مدينة نابلس وستخلص إلى أفضل الطرق للتغلب على هذه المشكلة.

Abstract

Qibla is the direction to Mecca, more specifically to the Kaaba, towards which each Muslim must face in order to perform his daily prayer. In a mosque, the Qibla is identified by the Qibla wall which contains a niche; or what is called, Mihrab. This paper lists many methods used to determine the Qibla in general, and then elaborates on the Qibla problem found in Nablus mosques. A field study indicated that most of the Nablus mosques are not directed correctly towards Mecca. The traditional mosque buildings have an average deviation of 26.4 degrees towards the west; the most recent mosques have 17.1 degrees also towards the west. Mosques built by 1996, have the most accurate qibla, with average deviation of 3.7 degrees, but towards the east. This paper discusses the main reasons that stand behind these deviations in qibla, and then concludes with the most acceptable ways to handle this problem.

١ تعريف القِبلة

القِبلة هي الاتجاه بأقصر المسارات نحو الكعبة المشرفة المبنية في مكة المكرمة (http://explanation-guide.info/meaning/Kaaba.html)). وأول من بنى الكعبة أبوالأنبياء إبراهيم وابنه إسماعيل (عليهما أفضل الصلاة وأتم التسليم). وهي عبارة عن بناء مكعب الشكل تقريبا، طوله ١٢,١٩ مترا وعرضه ١٠,٦٧ مترا وبارتفاع ١٥,٢٤ مترا، تغطى بقماش حريري اسود مخطوط عليه آيات مذهبة، يدعى الكسوة، ويتم تغييره سنويا. والمسلمون مطالبون بالتوجه نحو الكعبة المشرفة امتثالا لقوله سبحانه وتعالى:



شكل (١): صورة الكعبة المشرفة (http://i-cias.com/e.o/qibla.htm)

"قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضها، فول وجهك شطر المسجد الحرام، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره، وإن الطين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم، وما الله بغافل عما يعملون " (سورة البقرة الآية ١٤٤).

فعلى المسلمين في أي بلد تحري القِبلة والتوجه إليها في صلاتهم كشرط من شروط صحة الصلاة واستقبال القِبلة فريضة لا تسقط إلا في صلاة النفل للراكب وصلاة المكره والمريض والخائف (سابق، ١٩٧٣، ج١، ص١٣٠). واستقبال القِبلة من تمام إسلام المرء كما يستفاد من الحديث النبوي الشريف الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك، رضي الله عنه قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله" وسئل أنس بن مالك رضي الله عنه: "ما يحرم دم العبد وماله؟ "فقال من شهد أن لا إله إلا الله واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له ما للمسلم وعليه ما على المسلم"** (البخاري، ١٩٨٧، ج١، ص ١٥٣). كما يستحب استقبال القِبلة في العديد من النشاطات اليومية في حياة المسلم، وخاصة في فضائل الأمور كالدعاء وحال نومه، وعند ذبحه الأنعام، وعند موت المسلم يستحب دفنه مستقبلا القِبلة. أما في حال المكاره كالخروج إلى الخلاء فيستحب تجنب القِبلة. إن وحدة المسلمين ضرورة تستدعي تنسيق صفوفهم وتوجههم في الصلاة نحو قبلة واحدة، وإلاّ ساد الهرج والفوضى، وتفرّقت الصفوف وتشتتت القلوب. أضف إلى ذلك أن الكعبة، التي جعلت قبلة للمسلمين، هي بقعة مقدسة، والتوجه نحوها يوقظ في النفوس ذكريات المسيرة التوحيدية.

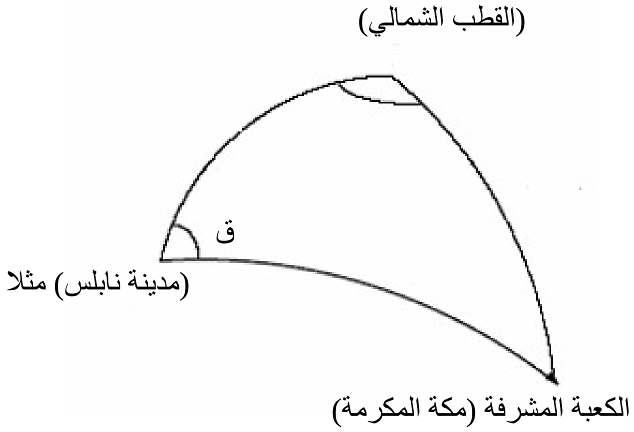
٢ طرق تحديد القِبلة

علمنا أن اتجاه القِبلة هو اتجاه الكعبة الشريفة في مكة المكرمة بالجزيرة العربية، وعلى المسلم أن يعرف اتجاه القِبلة في المكان الذي يوجد فيه حتى يستقبلها، أي أن يتجه نحوها كلما أراد أن يصلي. ولقد عرف العرب بمقدرتهم العظيمة في تحديد الأماكن والجهات من تجاربهم الطويلة في تجوالهم وسفرهم عبر العصور القديمة في الصحراء بوساطة النجوم ليلا، وظل الشمس نهارا، ولقد سجل لهم العلم العديد من الاختراعات ذات الصلة كالمزولة الشمسية لتحديد الوقت والإسطرلاب لتحديد الأماكن والاتجاهات، وفيما يلي سرد سريع لعدد من الطرق الممكن اتباعها في تحديد القِبلة أو التأكد منها، وهي على نوعين:

١,٢ طرق للمختصين

وهي طرق علمية بحاجة إلى معرفة ودراية بعلم الفلك أو حساب المثلثات أو كرة النجوم وقرصها أو القدرة على استخدام التجهيزات الملاحية والخرائط الجغرافية، وهذه الطرق هي:

١,١,٢ **استخدام قوانين حل المثلث الكروي:** وذلك أن الكعبة وأي بقعة من العالم، إضافة إلى موقع القطب الشمالي تشكل مثلثا كرويا كما في الشكل التالي:



شكل (٢): يوضح المثلث الكروي المستخدم في تحديد اتجاه القِبلة. (المصدر:(Abdali,١٩٩٧, p. ١٧))

القانون التالي يستخدم في تحديد اتجاه القِبلة:

$$\text{ق} = \text{ظا}^{-1} \frac{\text{جا}(\text{ط}_{\text{م}} - \text{ط})}{[\text{جتا}(\text{ع}) \times \text{ظا}(\text{ع}_{\text{م}})] - [\text{جا}(\text{ع}) \times \text{جتا}(\text{ط}_{\text{م}} - \text{ط})]}$$

حيث إن: ق = زاوية اتجاه القِبلة.

ع = خط عرض المنطقة المطلوب تحديد قبلتها.

ط = خط طول المنطقة المطلوب تحديد قبلتها.

$\text{ع}_{\text{م}}$ = خط عرض مكة المكرمة (٢١,٤٢ درجة شمال خط الاستواء).

$\text{ط}_{\text{م}}$ = خط طول مكة المكرمة (٣٩,٨٢ درجة شرق خط جر ينتش).

٢,١,٢ استخدام "مخطوط ويرز": وفيها يتم توقيع خط عرض الكعبة الشريفة على خط الأساس على تدريج ميل الجرم السماوي (http://mmsec.com/mail.htm).

٣,١,٢ استخدام "كرة النجوم": ويستخدمها المَلاَّحون أثناء إبحارهم، وهي طريقة سريعة ودقيقة لتحديد اتجاه القِبلة، يتم بها تحديد موقع الكعبة الشريفة بضبط خط عرض الكعبة الشريفة على موازيات الميل على كرة النجوم وخط طول الكعبة الشريفة (http://mmsec.com/mail.htm)).

٤,١,٢ **استخدام " قرص النجوم"**، يتم تحديد موقع الكعبة الشريفة بنفس الطريقة التي تمت على كرة النجوم بتوقيع خط عرض الكعبة الشريفة على موازيات الميل للجرم السماوي، وخط طول الكعبة الشريفة بالنسبة لموقع الراصد (http://mmsec.com/mail.htm)).

٥,١,٢ **استخدام الأجهزة الملاحية**، مثل جهاز تحديد الموقع بوساطة الأقمار الصناعية، حيث يتم تخزين موقع الكعبة الشريفة في ذاكرة الجهاز كنقطة مرجعية ويتم تحديد اتجاه القِبلة ومسافة هذه النقطة باستخدام طريقة السير على الدائرة العظمى.

٢,٢ طرق لعامة المسلمين

يمكن لأي مسلم اتباع الطرق التالية بسهولة ويسر، دونما حاجة إلى أن يكون ذا خلفية علمية أو صاحب خبرة عملية:

١,٢,٢ **استخدام ظاهرة تعامد الشمس على الكعبة الشريفة**، فعندما تتعامد الشمس على مكة المكرمة يكون اتجاه الشمس في هذه اللحظة في أي مكان يمكن أن ترى منه الشمس هو اتجاه القِبلة المطلوب، والشمس تتعامد على الكعبة الشريفة مرتين سنويًّا، وذلك حينما يكون ميل الشمس مساويًا لخط عرض الكعبة الشريفة، وأثناء مرورها الزوالي فوق الكعبة الشريفة (لحظة أذان الظهر بمكة المكرمة). يكون ذلك سنويا في الوقتين التاليين:

- ٢٨ أيار في الساعة ١٢ ظهرًا و١٧ دقيقة و٥٢,٨ ثانية.
- ١٦ تموز في الساعة ١٢ ظهرًا و٢٦ دقيقة و٤٠,٨ ثانية.

وذلك حسب توقيت مكة المكرمة المحلي. أما في نصف الكرة الأرضية المقابل الذي يستحيل رؤية الشمس به في الوقتين السابقين، فيمكن للمسلمين مراقبة الشمس حال تعامدها على النقطة المقابلة للكعبة من الكرة الأرضية في الوقتين التاليين:

- ٢٨ تشرين الثاني في الساعة ١٢ ليلا و٩ دقائق.
- ١٦ كانون الثاني في الساعة ١٢ ليلا و٢٩ دقيقة.

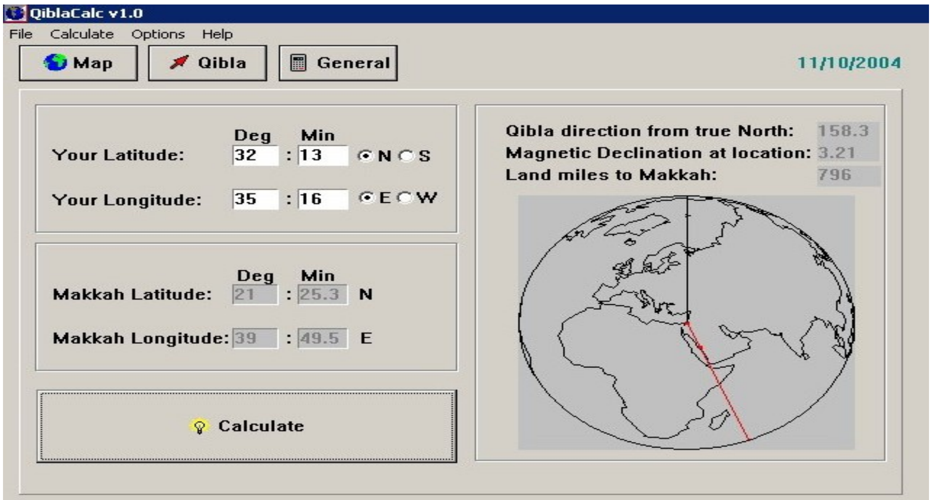
وذلك حسب توقيت مكة المكرمة، واتجاه القِبلة يكون حينها بان يتجه المسلم باتجاه ظله، جاعلا الشمس خلف ظهره (http://moonsighting.com/qibla.html#moon)).

٢,٢,٢ **استخدام ظاهرة تعامد القمر على الكعبة الشريفة**، في تواريخ محددة ولكن متغيرة يتعامد القمر فوق الكعبة المشرفة، فإذا تمكن المرء من مشاهدة القمر في تلك اللحظة، فانه حينئذ متوجه إلى القِبلة. علماء الفلك يحددون هذه المواقيت ومن ثم يتم تعميمها على المسلمين للاستفادة منها في معرفة اتجاه القِبلة الصحيح، كان آخرها للعام ٢٠٠٤ هو في يوم ٢٣ كانون الأول الساعة العاشرة مساءً وأربع دقائق بتوقيت مكة المكرمة.

٣،٢،٢ **خريطة الصلاة** التي رسمها المركز الإسلامي بالولايات المتحدة الأمريكية، وهي توضح اتجاه القِبلة بالزوايا في جميع أنحاء العالم.

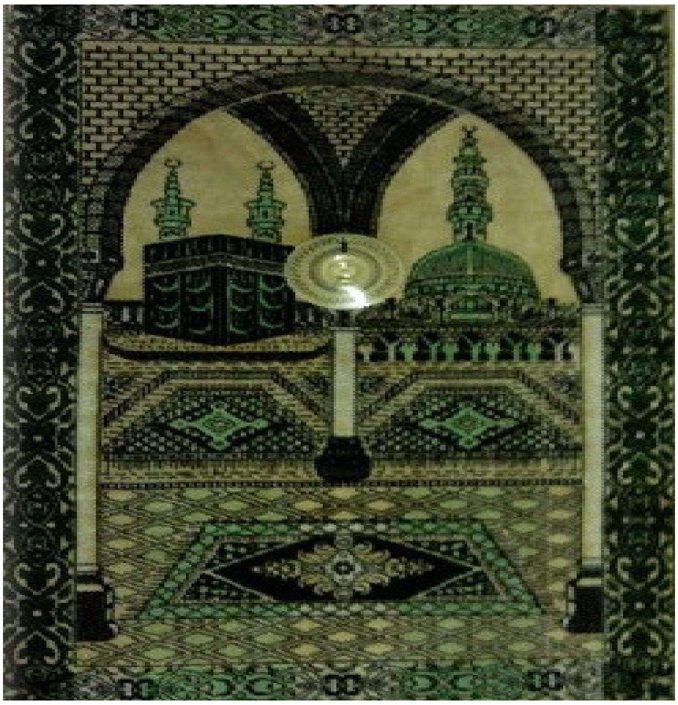
(http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/scince-17/scince.asp.htm)

٤،٢،٢ **برامج حاسوب خاصة بتحديد القِبلة**، البرنامج الموضح في الشكل رقم (٣) يوضح صورة لأحد هذه البرمجيات ويدعى (QiblaCalc v١،٠)، وبه يتم ربط إحداثيات الكعبة (خط عرض ٢١ درجة و٢٥،٣ دقيقة شمالا وخط طول ٣٩ درجة و٤٩،٥ دقيقة شرقا) والمخزنة مسبقا بالبرنامج مع إحداثيات أي بلد يراد معرفة القِبلة فيه، فمدينة نابلس، على سبيل المثال، ذات الإحداثيات: (خط عرض ٣٢ درجة و١٣ دقيقة شمالا وخط طول ٣٥ درجة و١٦ دقيقة شرقا). وعن طريق هذا البرنامج تبين أن زاوية القِبلة في نابلس تميل ١٥٨،٣ درجة عن الشمال الحقيقي. كما يوضح هذا البرنامج بالصورة خريطة تبين المكان المطلوب تحديد قبلته والخط الواصل بينه وبين مكة المكرمة مع اتجاه الشمال الحقيقي وليس الشمال المغناطيسي، كما يحدد الزاوية بينهما والتي كانت في حالة مدينة نابلس ٣،٢١ درجة، كما في الشكل رقم (٣) التالي.



شكل (٣): يبين بالرسم والأرقام زاوية اتجاه القِبلة في مدينة نابلس (الباحث).

٥،٢،٢ **بوصلة القِبلة:** والمزودة في سجادة صلاة خاصة تمتاز بسهولة استخدامها ودقتها المعقولة، فيمكن للمسلم حملها معه في حله وترحاله. مرفق مع هذه البوصلة كتيب للتعليمات تقتضي بأن يتم توجيه إبرة البوصلة (والتي تحدد اتجاه الشمال المغناطيسي) إلى ترقيم محدد وخاص لكل بلد يراد تحديد قبلته، فمثلا في فلسطين على المسلم توجيه هذه الإبرة أو مؤشر الشمال لينطبق على رقم ٢٢٥ وعندها تكون وضعية السجادة في اتجاه القِبلة المطلوب، انظر الشكل رقم (٤).



شكل (٤): سجادة الصلاة ذات بوصلة القِبلة (تصوير طلبة قسم الهندسة المعمارية، جامعة النجاح الوطنية).

٣. أهمية القِبلة في المساجد

يعد اتجاه القِبلة من أهم العناصر التصميمية للمساجد. وبما أن الصلاة من أهم الفعاليات والشعائر العديدة التي تقام في المساجد، وصلاة الجماعة بشكل أساسي واجبة على الرجال من المسلمين دون النساء، كما ورد في الحديث النبوي الشرف: **"عن أبي هريرة، رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقا سمينا أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء"** رواه البخاري (البخاري، ١٩٨٧، ج١، ص ٢٣١). ومن هذا الهدي النبوي يتبين أهمية صلاة الجماعة في المسجد. وصلاة الجماعة لا تكون إلا بإمام يقود الصلاة، ويتبعه المصلون من خلفه. ويجب على المصلين أن يتراصوا في صفوف مستقيمة متجهين صوب القِبلة. وحيث أن الصف الأول هو أفضل صفوف الرجال، كما ورد في الحديث الصحيح: **"عن أبي هريرة، رضي الله**

عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها" (أبو داود، د.ت. ج١، ص ٢٣٨)، لما في ذلك من بعد الرجال في الصف الأول عن النساء ومظنة المخالطة بهم. وبناء عليه، يستحب، عند بناء المساجد، إطالة الصفوف على زيادة عددها، وهذا ما يلاحظ في المساقط الأفقية لغالبية المساجد، أضف إلى ذلك الدور الكبير الذي يلعبه اتجاه القِبلة في تخطيط المدينة الإسلامية والأثر الذي يتركه في تخطيط الطرق المحيطة بالمساجد فيها. ويعمل بجدار القِبلة؛ وهو الكائن أمام المصلين، تجويف يقوم به الإمام؛ حتى لا يحتل وحده صفا كاملا. وهذا التجويف يدعى المحراب، وألحق به فيما بعد منبر الخطابة، وهو منصة مرتفعة يقف عليها الخطيب في صلاة الجمعة والعيدين، بحيث يراه المصلون. إذن، فاتجاه القِبلة وما يرتبط به من جدار القِبلة، والمحراب، والمنبر، له عظيم الأثر في تصميم المساجد وتفاصيل أهم عناصرها المعمارية.

٤. مشكلة القِبلة في مساجد مدينة نابلس

نتيجة للبحث الميداني الذي تم على ثلاثة وخمسين مسجدا من مساجد مدينة نابلس، تبين وجود انحراف ليس بالقليل في اتجاه جدار القِبلة وموقع المحراب، في غالبية المساجد التي تم دراسة قبلتها. ويبين الجدول رقم (١) نتائج البحث بالتفصيل بناءً على المخطط العام للمدينة، وقراءات اتجاه القِبلة المرصودة عن طريق استخدام سجادة الصلاة المزودة ببوصلة القِبلة، (أنظر البند ٥,٢,٢) التي دخلت إلى المنطقة في منتصف تسعينيات القرن الماضي عن طريق حجاج بيت الله الحرام، حيث قاموا بإحضار مثل هذه السجاجيد كهدايا مما ساهم في زيادة الوعي العام، والاهتمام بتحديد اتجاه القِبلة الصحيح، والعمل على تصحيحها في مساجدهم، وكذلك تحريها بدقة في بيوتهم وأماكن عملهم. ومن هذه النتائج يتبين ما يلي:

١. وجد أن عشرة مساجد فقط (تشكل ١٩% من عدد المساجد المدروسة) قبلتها صحيحة ولا يوجد بها أي مشكلة، علما أن مسجدين من هذه المساجد قد تم تصحيح قبلتهما، وهما مسجد أبو بكر الصديق في المساكن الشعبية الشرقية ومسجد فاطمة الزهراء في المساكن الشعبية الغربية (المخفية)، بعد أن كان بهما انحراف يقارب خمساً وأربعينَ درجة.

٢. وجد أن أثني عشر مسجدا (٢٣%) يوجد بها انحراف قليل لا يتجاوز خمس درجات عن القِبلة الصحيحة، من بينها مسجد اعتدال الخزندار الذي تم تصحيح قبلته بعد أن كان به انحراف أربعين درجة عن القِبلة الصحيحة.

٣. وجد أن سبعة مساجد (١٣%) يوجد بها انحراف متوسط بمعدل إحدى عشرة درجة عن القِبلة الصحيحة، من بينها مسجد الأنبياء الذي تنحرف قبلته المعدلة حاليا بتسع درجات، حيث نلاحظ أن جدار القِبلة الذي ما زال قائما على وضعه القديم به انحراف ٣٦,٦ درجة.

٤. وجد أن أربعاً وعشرين مسجداً (٤٥%) يوجد بها انحراف كبير بمعدل اثنتين وثلاثين درجة عن القِبلة الصحيحة.

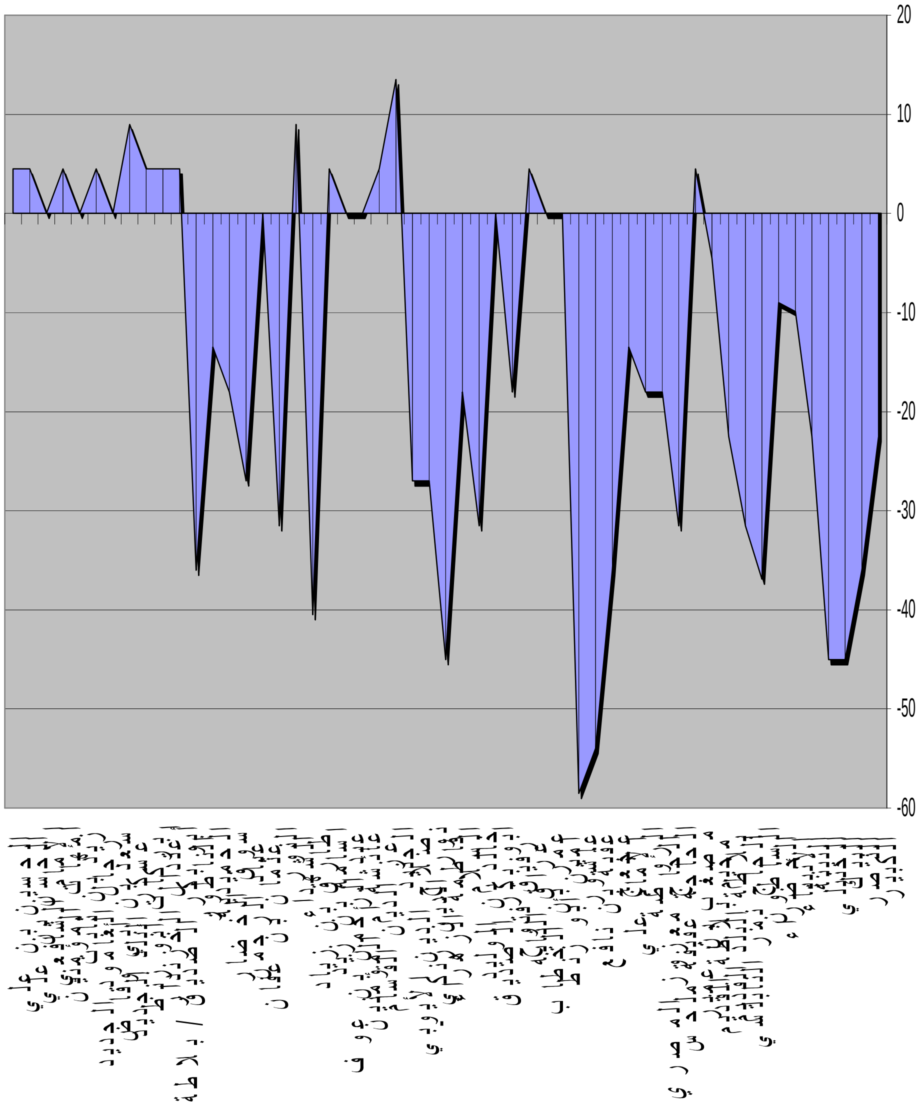
جدول (١): يبين زاوية القِبلة في عدد من مساجد مدينة نابلس (من قبل طلبة قسم الهندسة المعمارية، جامعة النجاح الوطنية، وسنة تأسيس المساجد من دائرة آثار نابلس)

	اسم المسجد	القبلة الحالية	الانحراف	التأسيس	الموقع
١	الكبير	١٩٥	٢,٥-٢	١١٨٧	البلدة القديمة
٢	النصر	١٨٥	-٤٠	١١٨٧	البلدة القديمة
٣	البيك	١٧٥	-٤٥	١١٨٧	البلدة القديمة
٤	الحنبلي	١٧٥	-٤٥	مملوكي	البلدة القديمة
٥	التينة	٢٠٠	-٢٢,٥	تركي	البلدة القديمة
٦	الأنبياء	١٨٥	-٣٦,٦	تركي	البلدة القديمة
٧	الخضراء	٢١٥	-٩	١٢٧٩	البلدة القديمة
٨	الساطون	١٨٠	-٣٧	١٢٨٥	البلدة القديمة
٩	الحاج نمر النابلسي	١٩٠	-٣١,٥	١٩٣٨	شارع فيصل
١٠	بلاطة البلد القديم	٢٠٠	-٢٢,٥	١٩٥٠	بلاطة البلد
١١	مخيم بلاطة القديم	٢٢٠	-٤,٥	١٩٥٠	مخيم بلاطة
١٢	مصعب بن عمير	٢٣٠	٤,٥	١٩٥٠	مخيم عسكر
١٣	الحاجة عفيفة ملحس	١٩٠	-٣١,٥	١٩٦٣	بليبوس
١٤	الحاج معزوز المصري	٢٠٥	-١٨	١٩٦٣	شارع فيصل
١٥	الروضة	٢٠٥	-١٨	١٩٦٣	رفيديا
١٦	الإمام علي	٢١٠	-١٣,٥	١٩٦٨	المقبرة الغربية
١٧	عجعج	١٨٥	-٣٦	١٩٧٦	رأس العين
١٨	عقبة بن نافع	١٦٥	-٥٤	١٩٧٧	شارع الحمراء
١٩	عاشور	١٦٠	-٥٨,٥	١٩٧٧	كرم عاشور
٢٠	أمين أبو زنط	٢٢٥	٠	١٩٧٨	الضاحية
٢١	عمر بن الخطاب	٢٢٥	٠	١٩٧٨	نهاية شارع السكة
٢٢	عراق التايه	٢٣٠	٤,٥	١٩٧٩	عراق التايه
٢٣	رفيق فتوح	٢٠٥	-١٨	١٩٨١	شارع القدس
٢٤	أبو بكر الصديق	٢٢٥	٠	١٩٨٢	المساكن الشعبية الشرقية
٢٥	خالد بن الوليد	١٩٠	-٣١,٥	١٩٨٣	جسر التيتي
٢٦	السلام	٢٠٥	-١٨	١٩٨٣	شارع الأمير محمد
٢٧	فاطمة الزهراء	١٧٥	-٤٥	١٩٨٤	المخفية
٢٨	نور الدين زنكي-الغمامة	١٩٥	-٢٧	١٩٨٤	شارع ٢٤
٢٩	صلاح الدين الأيوبي	١٩٥	-٢٧	١٩٨٥	أول طلعة الطور

... *تابع جدول رقم* (١٠)

	اسم المسجد	القبلة الحالية	الانحراف	التأسيس	الموقع
٣٠	الجنيد	٢٤٠	١٣,٥	١٩٨٦	الجنيد
٣١	عز الدين القسام	٢٢٥	٠	١٩٨٩	المعاجين
٣٢	عائشة أم المؤمنين	٢٢٥	٠	١٩٨٩	شارع الورش مقابل شارع زبلح
٣٣	عبد الرحمن بن عوف	٢٢٥	٠	١٩٨٩	خلة الرهبان
٣٤	أسامة بن زيد	٢٣٠	٤,٥	١٩٨٩	شارع الحرش
٣٥	طارق بن زياد	١٨٠	-٤٠,٥	١٩٩٠	شارع ١٠
٣٦	الشهداء	٢٣٥	٩	١٩٩٠	فرب الجامعة
٣٧	النور	١٩٠	-٣١,٥	١٩٩٢	أول شارع تل
٣٨	عثمان بن عفان	٢٢٥	٠	١٩٩٢	شارع الروضة
٣٩	عباد الرحمن	١٩٥	-٢٧	١٩٩٥	مخيم بلاطة
٤٠	سوق الخضار	٢٠٥	-١٨	١٩٩٥	سوق الخضار
٤١	الحميدية	٢١٠	-١٣,٥	١٩٩٥	السوق الأخضر
٤٢	الناطور	١٨٥	-٣٦	١٩٩٦	رفيديا
٤٣	أبو بكر الصديق	٢٣٠	٤,٥	١٩٩٦	بلاطة البلد
٤٤	اعتدال الخزندار	٢٣٠	٤,٥	١٩٩٧	شارع القدس
٤٥	بركات أبو زنط	٢٣٠	٤,٥	١٩٩٨	أول عسكر البلد
٤٦	عسكر البلد الجديد	٢٣٥	٩	١٩٩٨	عسكر البلد
٤٧	سعد بن أبي وقاص	٢٢٥	٠	١٩٩٩	شارع فطاير
٤٨	رجال العامود الجديد	٢٣٠	٤,٥	١٩٩٩	خلة العامود
٤٩	زيد بن ثابت	٢٢٥	٠	٢٠٠٠	شارع الجنيد/مفرق زواتا
٥٠	أمهات المؤمنين	٢٣٠	٤,٥	٢٠٠٢	الضاحية العليا
٥١	الإمام الشافعي	٢٢٥	٠	٢٠٠٤	الضاحية
٥٢	الحسن بن علي	٢٣٠	٤,٥	٢٠٠٤	شارع التعاون
٥٣	الحسين بن علي	٢٣٠	٤,٥	٢٠٠٤	شارع بيكر

الشكل رقم (٥)، يوضح بالرسم البياني مدى الانحراف في قِبلة مساجد مدينة نابلس (عينة الدراسة) ومدى التغيير الحاصل في هذا الانحراف بدءاً بالمساجد التاريخية القديمة (على اليمين) وانتهاءً بالمساجد الحديثة التي ما يزال بعضها قيد التنفيذ حتى تأريخ إعداد هذه الدراسة (على اليسار). مع ملاحظة أن القيم السالبة هي لانحراف القِبلة لجهة الغرب والقيم الموجبة لانحرافها لجهة الشرق.



شكل (٥): انحراف القِبلة في مساجد نابلس (المصدر: الباحث).

نستنتج من البيانات السابقة أن تسعة وعشرينَ مسجداً (٥٤,٧%) تنحرف قِبلتها تجاه الغرب بمعدل ٢٧,٢ درجة وان أربعة عشر مسجدا (٢٦,٤%) تنحرف قِبلتها تجاه الشرق بمعدل ٥,٨ درجة. وكذلك يتبين أن كافة المساجد التاريخية في البلدة القديمة يوجد انحراف في قِبلتها بمعدل ٢٦,٤ درجة باتجاه الغرب. أما المساجد التي بنيت خارج حدود البلدة القديمة بدءاً من عام ١٩٥٠ وحتى نهاية عام ١٩٩٦ والتي كانت ضمن عينة البحث والمقدر عددها بأربعة وثلاثين مسجدا فمعدل انحراف قبلتها ١٧,١ درجة وأيضا باتجاه الغرب. أما المساجد التي بنيت بعد عام ١٩٩٦، والمقدرة بأحد عشر مسجدا، فانحراف قِبلتها قليل وبمعدل ٣,٧ درجة ولكن باتجاه الشرق.

٥. أسباب انحراف القِبلة في مساجد نابلس

تكشف هذه البيانات ما يستوجب التأمل والبحث عن أسباب وجود مثل هذه القيم في انحراف القِبلة وخصوصا في المساجد القديمة التي من المفروض أنها واكبت الحضارة الإسلامية، وما عرف عنها من تقدم علمي حينها، وخصوصا في مجالات الفلك، وما عرف عن فراسة العربي ومقدرته في تحديد المواقع والاتجاهات، وخصوصا في ترحاله اليومي في الصحارى مستخدما النجوم والكواكب، بالإضافة إلى ما اخترعه العرب المسلمون من أجهزة لضبط الوقت وتحديد الأماكن والاتجاهات مثل جهاز الإسطرلاب. أضف إلى ذلك ما عرف عن مدينة نابلس من تدين أهلها، وحبهم للعلم والعلماء. كل هذا يدعونا للبحث في تحديد أسباب الانحراف الكبير في قِبلة مساجدها، وفي حال افتراض أن أهلها كانوا على علم باتجاه القِبلة الصحيح، فما هي أسباب عدم قيامهم بأي تصحيح لخطوط القِبلة أو جدرانها في مساجدهم؟

١,٥ أسباب انحراف القِبلة في المساجد التاريخية

المساجد التاريخية هي المساجد التي وجدت داخل البلدة القديمة. وهي تسع مساجد: المسجد الصلاحي الكبير، ومسجد الحنبلي، ومسجد البيك، ومسجد الساطون، ومسجد الخضراء، ومسجد التينة، ومسجد النصر، ومسجد الخضر، ومسجد الأنبياء. وجميع هذه المساجد يوجد انحراف كبير نسبيا بقبلتها كما تم توضيحه بجدول رقم (١) وبالرسم البياني في الشكل رقم (٥). فما هي أسباب هذا الانحراف:

١,١,٥ غالبية المساجد التاريخية لم تبن مساجد ابتداء، وإنما حولت من مبان دينية أو عامة تابعة لأديان وحضارات قديمة بعد أن دخل أهل مدينة نابلس في الإسلام. وفيما يلي سرد سريع لقصة بناء كل من هذه المساجد التاريخية منذ تأسيسها ككنائس رومانية أو بيزنطية وحتى تحويلها لمساجد:

١. الجامع الكبير وهو أكبر هذه المساجد وأقدمها، أقيم على مرحلتين، القسم الغربي كان بازيليكا بيزنطية، بناها الإمبراطور جستنيون في القرن السادس الميلادي (بيشاوي، ١٩٨٤)، والقسم الشرقي منه أضيف سنة ١١٦٧ م أيام الصليبيين حينما أمر الملك الصليبي ألمريك (Almaric) بمنح كنيسة القيامة بالقدس أرضا في نابلس لإقامة كنيسة عليها سميت بكنيسة البعث، حولها صلاح الدين الأيوبي سنة ١١٨٧ إلى المسجد الصلاحي الكبير (كلبونة، ١٩٩٨، ص ١٥، ٢٥، ٤٣).

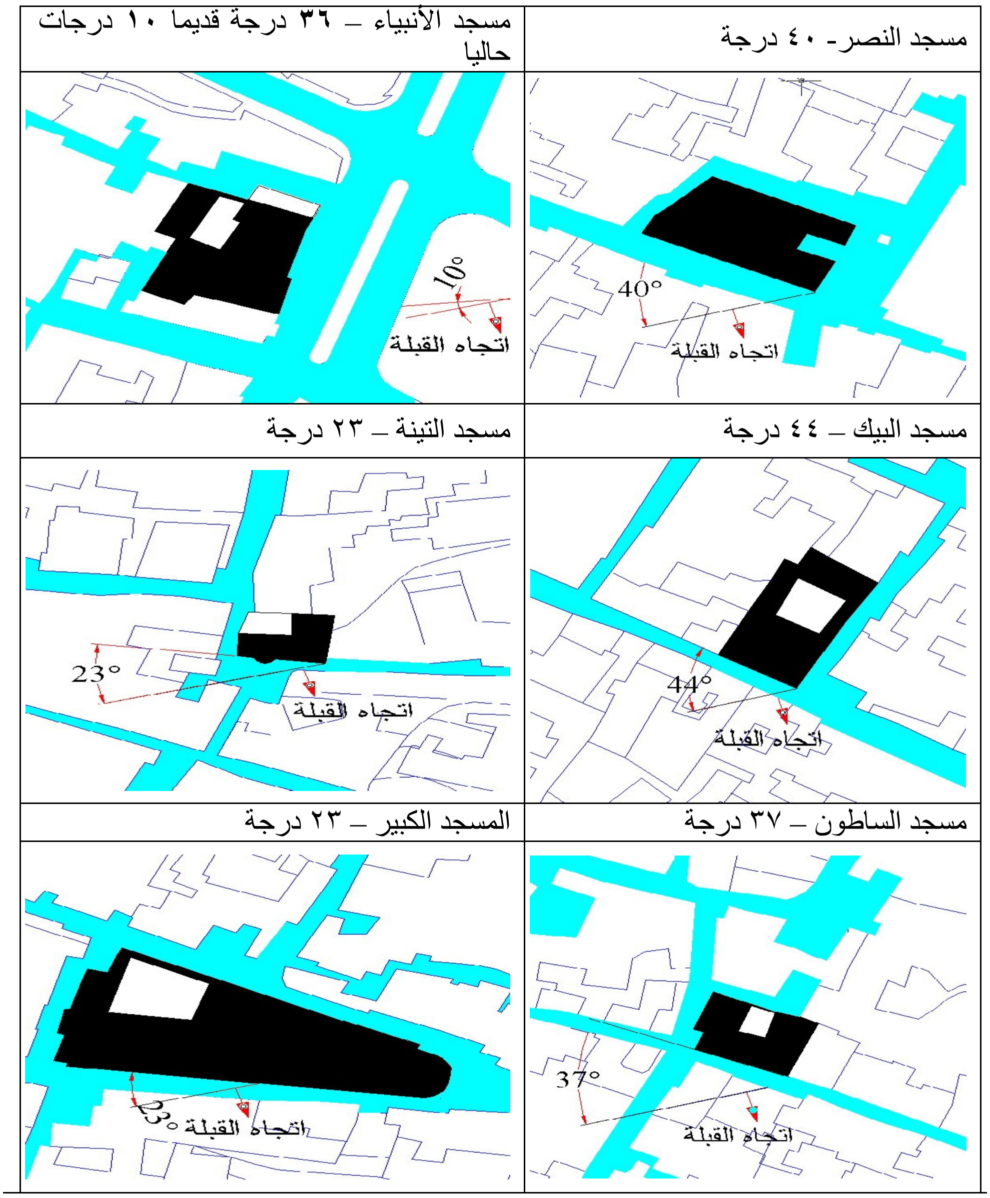
٢. مسجد الحنبلي كان بازيليكا رومانية أو كنيسة بيزنطية صغيرة (كلبونة، ١٩٩٨، ص ٩١).

٣. مساجد النصر والبيك والخضراء فأصلها كنائس صليبية، حولها الأيوبيون إلى مساجد (كلبونة، ١٩٩٨، ص ٧٤). وفي رواية ضعفها بعض الباحثين، أن مسجد الخضراء كان كنيسا للسامريين. أما مسجد النصر ببنائه الحالي فهو حديث نسبيا بناه المجلس الإسلامي الأعلى سنة ١٩٣٥ م بعد أن تهدمت الكنيسة خاصته بزلزال سنة ١٩٢٧ م.

٤. مسجد الأنبياء، أصله مشهد تاريخي لأبناء النبي يعقوب عليه السلام، في العهد المملوكي بني فوق قبورهم غرف مقببة، حولت في سنة ١٧٧٧ م بالعهد العثماني لمسجد (كلبونة، ١٩٩٨، ص ١٢٦-١٢٧).

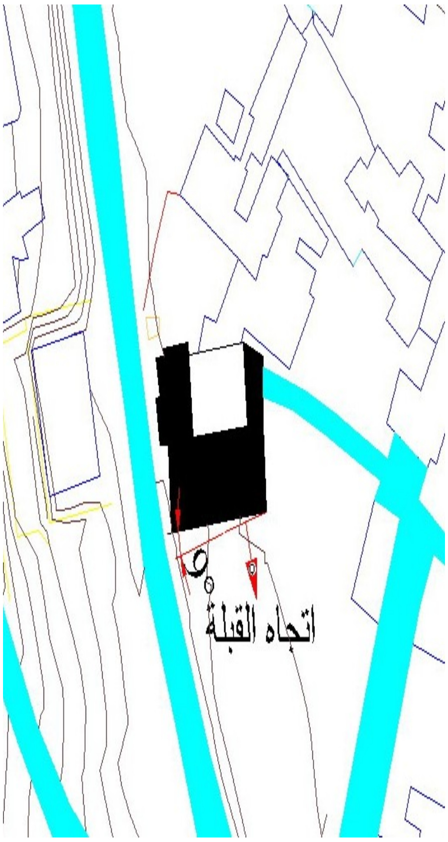
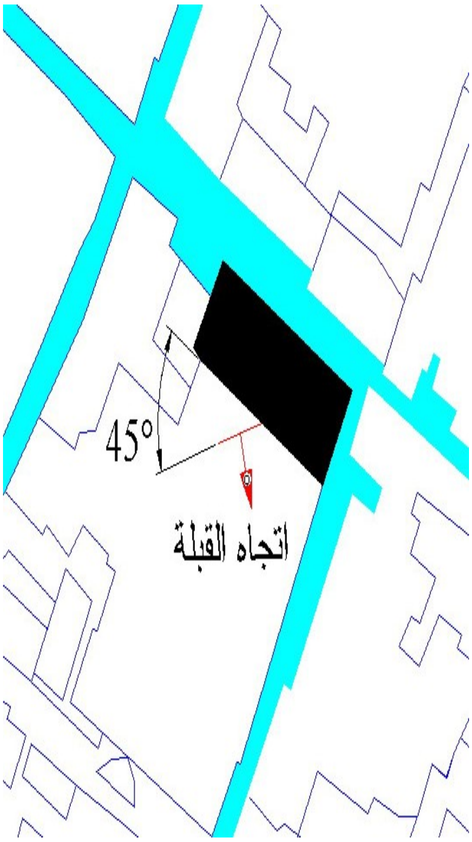
٥. مسجد الساطون والتينة هما المسجدان التاريخيان الوحيدان اللذان ورد أنهما بنيا كمساجد. الساطون يعود بناؤه لعهد الخليفة عمر بن الخطاب. أما مسجد التينة فيعود بناؤه إلى بداية الحكم العثماني لمدينة نابلس في القرن السادس عشر الميلادي (كلبونة، ١٩٩٨، ص ١٣٣). أما مسجد الخضر فهو حديث نسبيا، فقد بناه السيدان أمين وبدوي عاشور سنة ١٨٩١ م (كلبونة، ١٩٩٨، ص ١٣٥).

٢,١,٥ الموقع العمراني لهذه المساجد وخاصة الواقعة شمال الطرق الرئيسية في البلدة القديمة فرض عليها اتجاه محدد لجدار القِبلة موازٍ لهذه الطرق. أضف إلى ذلك أن التخطيط الأساسي لمدينة نابلس هو روماني فلم يكن لاتجاه القِبلة أي أثر لتوجيه القصبات الرئيسية في المدينة، وإنما تأثرت بتوجيه الكنائس حيث إن الاتجاه من الغرب إلى الشرق هو أساس توجيه المذابح فيها. ومن هنا وجد هذا الانحراف الكبير بعد تحويل هذه الكنائس إلى مساجد. الشكل رقم (٦) التالي يوضح اثر موقع كل مسجد تاريخي على اتجاه قبلته مع توضيح مدى الانحراف بالدرجات.



شكل (٦): يبين اثر الموقع العمراني للمساجد التاريخية ذات جدار ِقبلة محاذي لقصبات رئيسية على زاوية الانحراف عن القِبلة بالدرجات (الباحث).

أما في حالتي مسجد الخضراء والحنبلي، فنلاحظ أن جدار القبلة فيهما بعيد عن القصبات الرئيسية، ومع ذلك فقد وجد بهما انحراف ولكن بشكل متفاوت كما هو واضح بمخططي الشكل رقم (٧). إن وضع المسجدين على هذا النحو يجعل إمكانية إحداث أي إصلاح في قبلتيهم عملية سهلة. أما في حالة مسجد الحنبلي، فانحرافه كبير، فإذا تم الاتفاق مع أصحاب العقارات الملاصقة، فنظريا يمكن تعديل جدار القِبلة للاتجاه الصحيح. أما في حالة مسجد الخضراء فوضعه أسهل حيث إن بحر فراغاته الداخلية كبير، وانحرافه قليل نسبيا (تسع درجات للشرق) فلا داعي لهدم وإعادة بناء جدار قبلته وإنما إعادة ضبط خطوط القِبلة بالاتجاه الصحيح قد تكون كافية.

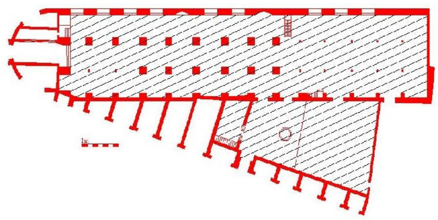
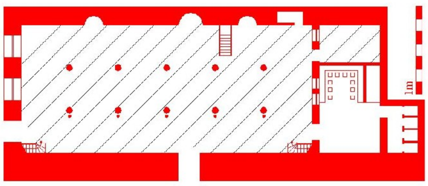
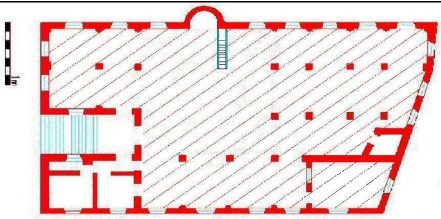
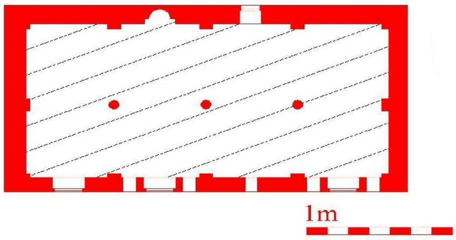
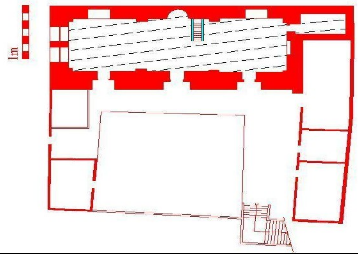
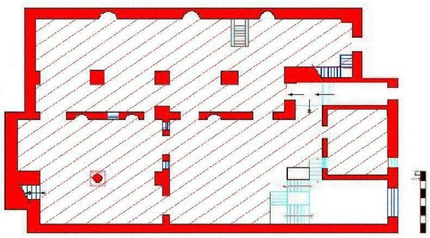
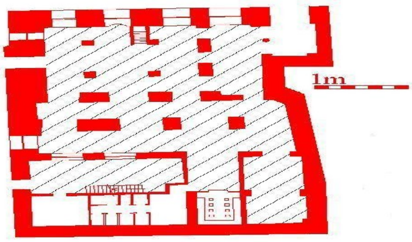
مسجد الخضراء – ٩	مسجد الحنبلي - ٤٥
	

شكل (٧): يبين المساجد ذات جدار القِبلة البعيد عن القصبات الرئيسية (الباحث).

لذا فالموقع العمراني للمساجد التاريخية هذه أضاف عقبة يصعب معها تصحيح جدار القِبلة. والدليل على ذلك ما حصل في حالة مسجد النصر. فقد هدم بناؤه التاريخي في زلزال سنة ١٩٢٧ ميلادية، مما أتاح فرصة مواتية لإصلاح انحراف قبلته ولكن كون جدار القِبلة فيه موازياً للقصبة الرئيسية في البلدة القديمة جعل من الصعوبة بمكان إحداث أي تغيير على اتجاهه المنحرف بست وثلاثين درجة. وكون المسجد محاطاً بالشوارع من الأربع جهات ولصغر مساحة الأرض المقام عليها فقد كان تحريك البناء ولفه كله صعبا جدا، انظر شكل رقم (٦).

٣,١,٥ في حال الافتراض أن أهالي المدينة كانوا على علم بالاتجاه الصحيح، فقد يعود عدم تصحيحهم لاتجاه القِبلة فيها ما تمليه طبيعة البناء في غالبية هذه المساجد فجدرانها سميكة وفراغاتها الداخلية ضيقة إلى حد ما، بحيث تعج هذه القاعات بعدد كبير من الأعمدة الضخمة، يصعب معها عمل أي تحوير لخطوط الصلاة لتلائم اتجاه القِبلة الصحيح، مع الحفاظ على صفوف طويلة، حيث انه من الملاحظ أن جميع قاعات الصلاة بوضعها الحالي تمتاز بصفوفها الطويلة، لما لها من ميزة في زيادة عدد المصلين في الصفين الأول والثاني كما تم توضيحه في البند رقم (٣). ولكن في حال تم تصحيح القِبلة فستصبح هذه صفوف قصيرة ومتقطعة، فتصبح الصلاة في هذه الحالة في حكم المكروه لما ورد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نهى أن يصلي المؤتمون بين السواري عند السعة بسبب قطع الصفوف ولا تكره عند الضيق. فعن أنس قال: كنا ننهى عن الصلاة بين السواري ونطرد عنها". رواه الحاكم وصححه (سابق، ١٩٧٣، ج١، ص٢٥٣).

انظر مخططات المساجد التاريخية الموضحة في الشكل رقم (٦) وما سيترتب على صفوف الصلاة من قصر في الطول وخصوصا في الصفوف الأولى مما سيحرم الكثير من المصلين أجر الصلاة فيها. أضف إلى ذلك تقطع غالبية هذه الصفوف في كل من حالتي السعة والضيق، حسب عدد المصلين، فتكثر أعدادهم في صلوات الجمع والأعياد وفي شهر رمضان والمناسبات الإسلامية وتخف نسبيا في غيرها من الأوقات، علما أن غالبية هذه المساجد تقع في قلب البلدة القديمة بالقرب من السوق المركزي الممتلئ بالناس دائما مما يجبر الناس على الصلاة بين السواري، فتدخل في دائرة الكراهة. هذا إذا ما تغاضينا عن التشتت النفسي للمصلين في هذه الحالة وعدم الطمأنينة مما يفسد الخشوع أثناء الصلاة. يوضح الشكل رقم (٨) خطوط الصلاة باتجاه القِبلة الصحيحة وما يؤول إليه حال صفوف الصلاة في هذه الحالة، ففي معظم المساجد الوضع غير مشجع، وأفضل الأحوال هي حالة مسجد الخضراء، حيث تخلو قاعة الصلاة من الأعمدة ونسبة الانحراف فيها قليلة نسبيا (تسع درجات)، مما يجعل تصحيح القِبلة أمرا ميسورا.

المسجد الكبير -٢٣ درجة	المسجد الحنبلي -٤٥ درجة
	
مسجد النصر – ٤٠	مسجد التينة-٢٢,٥ درجة
	
مسجد الخضراء -٩ درجة	مسجد الأنبياء -٣٦ درجة
	
مسجد الساطون -٣٧ درجة	مسجد البيك -٤٥ درجة
	

شكل (٨): يبين خطوط القِبلة الصحيحة وزاوية انحرافها عن جدار القِبلة، كما يبين أثر الأعمدة وضخامتها في صفوف الصلاة في المساجد التاريخية (رفع طلبة قسم الهندسة المعمارية / جامعة النجاح الوطنية- بتصرف الباحث)

٢,٥ أسباب انحراف القِبلة في المساجد الحديثة

يقصد هنا بالمساجد الحديثة تلك التي بنيت خارج حدود البلدة القديمة لمدينة نابلس منذ خمسينيات القرن الماضي. ومن بيانات الجدول رقم (١) والرسم البياني الموضح في الشكل رقم (٥) يلاحظ وجود انحراف عام في جميع هذه المساجد بمعدل اثنتي عشرة درجة نحو الغرب. وكما أسلفت الحديث في البند رقم (٤)، فإن هذه المساجد تقسم إلى قسمين؛ المساجد التي بنيت حتى نهاية عام ١٩٩٦، تنحرف قبلتها بمعدل ١٧,١ درجة باتجاه الغرب، أما المساجد التي بنيت بعد عام ١٩٩٦، فانحراف قِبلتها قليل وبمعدل ٣,٧ درجة باتجاه الشرق. ولمعرفة أسباب وجود هذا الانحراف بالقبلة في هذه المساجد لا بد أولا من معرفة الكيفية التي تمت عملية إنشاء هذه المساجد لنتمكن من تحديد مواطن الخلل التي تسببت في وجود عدد من الإشكالات الهندسية والمعمارية كان أحدها هذا الانحراف. في الغالب يقوم أهالي الأحياء التي بنيت بها هذه المساجد بتجميع أنفسهم وحشد كافة طاقاتهم المادية والبشرية للبدء بمشروع إنشاء المسجد خاصتهم، وذلك بإتباع الخطوات التالية:

١. تشكيل لجنة إعمار المسجد؛ وترخيصها من الدوائر الرسمية وخاصة دائرة الأوقاف والشئون الإسلامية، لتصبح الجهة الرسمية الموكلة بكافة جوانب الإنشاء من العظم وحتى نهاية التشطيب وافتتاح المسجد رسميا.

٢. البحث عن قطعة ارض في المنطقة تصلح لبناء المسجد باجتهاد لجنة الإعمار وأهل المنطقة، وغالبا ما يتم التبرع بالأرض من قبل أحد المحسنين أو بالعمل على طلب تخصيص قطعة ارض من بلدية نابلس تكون مفروزة في المخطط الهيكلي للمدينة للاستعمال كمرافق عامة، أو يتم تنظيمها كذلك لاحقا.

٣. البدء بعمل المخططات الهندسية من قبل مهندسي المدينة، أو من قبل أي ممن عمل بقطاع البناء والهندسة من حملة شهادات الدبلوم في الرسم الهندسي أو المساحة أو مراقبة البناء وخلاف ذلك. وقديما كانت المخططات الهندسية تتألف فقط من مخططات معمارية وإنشائية وبشكل جزئي ومنقوص بحيث يتم استكمالها عمليا أثناء التنفيذ. هذا للمساجد وغيرها من الأبنية على اختلاف استخدامها. وفي حال تم تقديم الأرض من قبل البلدية، ففي الغالب يقوم طاقمها الهندسي بعمل المخططات اللازمة، بالتنسيق مع أعضاء لجنة الإعمار.

٤. بعد ذلك، أو بشكل متزامن مع إعداد المخططات، يتم البدء بجمع التبرعات المادية والعينية لتغطية نفقات الإنشاء، بعد التنسيق مع دائرة الأوقاف للسماح للجنة الإعمار بجمع التبرعات من مساجد المدينة و من خارجها إذا لزم الأمر. وقد يقوم احد أعيان البلد بالتبرع بالإنشاء كاملا كما حدث في مسجد الحاج نمر النابلسي، ومسجد الحاج معزوز المصري، ومسجد أمين أبو زنط، وبركات أبو زنط، وغيرها الكثير. وغالبا ما يتم تسمية المسجد باسم هذا المتبرع، انظر قائمة أسماء المساجد المبينة في الجدول رقم (١). كما انه من الممكن أن تكون التبرعات جزئية بشكل نقدي كالتبرع بتكاليف جزء من أجزاء المشروع كطابق أو جزء من الطابق، كالتبرع بتكاليف صبة سقف أو قبة أو مئذنة أو ما شابه ذلك. وقد يكون

التبرع بشكل عيني، مثل التبرع بمواد بناء من اسمنت أو حجر أو حديد أو خلافه. وتستمر هذه العملية حتى الانتهاء من تنفيذ العظم وتتكرر أيضا حتى نهاية التشطيب.

٥. وفي العادة يشرع بالتنفيذ عندما يتم جمع مبلغ يكفي لإنجاز مرحلة معينة من البناء، ومنذ هذه اللحظة تبدأ وجهات النظر الشخصية لأعضاء لجنة الإعمار واجتهادا تهم الذاتية بالانعكاس على ملامح المشروع وعناصره المعمارية وحتى على عناصره الإنشائية، في بعض الأحايين، وقد تبنى على علم أو بغير علم، وقد تكون بتنسيق مع مهندس أو مراقب أو بدون ذلك. وقد تستمر هذه العملية لأشهر أو لسنوات حسب حجم المشروع إلى أن يتم الانتهاء من البناء، ومن ثم افتتاح المسجد.

وقد تكرر هذا السيناريو في أغلب مساجد المدينة مما انعكس سلبا على عمارة المساجد في المدينة، والتي هي بحد ذاتها موضوع كبير بحاجة إلى بحث منفصل لا داعي للتفصيل في جوانبه الآن لكيلا نخرج عن موضوع البحث في قِبلة هذه المساجد والذي يعد جزئية من عمارة المساجد في مدينة نابلس. وبعد أن تم التوضيح للقارئ الكريم الكيفية التي بنيت بها مساجد مدينة نابلس، والتي تتكرر في اعتقادي، في كافة المدن الفلسطينية، لا بد الآن من العمل على تحديد أسباب وجود الانحراف في قِبلة هذه المساجد:

١,٢,٥ **التقليد وعدم التحقق:** وذلك في إتباع اتجاه القِبلة من المساجد القريبة دون العمل على التحقق من مدى صحة الاتجاه غير منتبهين أصلا إلى أنه قد يكون هناك مشكلة في هذا الأمر. فعلى سبيل المثال لا الحصر، ما حدث لقِبلة كل من مساجد الحاج نمر النابلسي والحاجة عفيفة ملحس وخالد بن الوليد القريبة من بعضها ولها القيمة نفسها لانحراف القِبلة وهي (٣١,٥ درجة) نحو الغرب، انظر جدول رقم (١). فمن المرجح أن مسجد الأنبياء هو المرجع الذي تم تقليده في قِبلتهم، وهو أقرب مسجد تاريخي إليهم وله قيمة انحراف تقارب قيمهم (٣٦ درجة) نحو الغرب.

٢,٢,٥ **غياب الدور التخطيطي للبلدية:** من المعلوم أن مجلس بلدية نابلس يعود إلى سنة ١٨٦٨ م. وهو من أقدم المجالس في المنطقة، وأول مخطط هيكلي للمدينة يعود لفترة الانتداب الإنجليزي، حيث تم عمل تصوير جوي سنة ١٩٣٦، وآخر سنة ١٩٤٤، كما تم عمل نظام البناء واستخدام الأراضي في تلك الفترة. ورغم كل هذا فلا تزال المدينة تعاني من العجز والقصور في الجانب التخطيطي والتنظيمي في تخصيص قطع أراضي لبناء المساجد، بحيث تكون نابعة من دراسة حقيقية لاحتياجات السكان من حيث الموقع ومساحة الأرض وطبيعتها الطبوغرافية وشكلها الهندسي المناسب للمساجد. فغالبية مساجد المدينة بنيت بناء على طلب السكان على قطع في الغالب سكنية الاستخدام، صغيرة المساحة، وذات شكل هندسي غير مناسب، مما افقد مساجد المدينة أن يكون لها عمارة بمعنى الكلمة فالمواصفات السلبية الكثيرة سالفة الذكر تشكل عقبات في وجه الإبداع المعماري لهذه المساجد.

٣,٢,٥ **قصور الدور التنظيمي للبلدية:** إن المتتبع لمساجد المدينة يلاحظ أن غالبيتها بنيت على قطع أراضٍ غير مناسبة للمساجد من حيث الموقع، وصغر مساحتها، وعدم انتظام شكلها الهندسي، مما يلجئ لجان الإعمار إلى مخالفة قوانين البناء من أجل تحسين الوضع الداخلي في

المسجد، مستغلين الحصانة الدينية للمسجد، كونه لا يخضع عرفا للعقوبات التنظيمية من الغرامات المالية أو الهدم مما ينشئ ضياعا تنظيميا وخللا ميدانيا قد يفسد المخططات التنظيمية للمنطقة إذا لم يتم ضبطه، فكم شارع تم تعديله بعد بناء مسجد خصوصا في الضواحي الجديدة للمدينة. كل هذا دعا بعض المواطنين إلى استغلال نقطة الضعف في الجانب التنظيمي هذه لإنقاذ قطع أراضٍ خاصةٍ بهم من أن تصادر وتضم لحرم شارع مجاور إلى المسارعة للبناء فيها ثم يعمدوا إلى إضافة طابق يجعلوه مسجدا فيأخذ بناؤهم المخالف هذا وضعا مميزا تجمد به العقوبات التنظيمية. والنتيجة بناء مسجد يعج بالمشاكل الهندسية من أهمها مشكلة الانحراف في القِبلة.

٤,٢,٥ غياب الرقابة الشرعية: كان الدور الأساسي لمديرية الأوقاف والشئون الإسلامية هو ترخيص لجان الإعمار وتسهيل مهام جمع التبرعات وضبطها، ولم يكن لهم أي دور في التخطيط الهندسي للمسجد إلا بعد الانتهاء من التنفيذ، وافتتاح المسجد رسميا والصلاة فيه. وقد يبقى المسجد تحت رعاية لجنة الإعمار أو لجنة المسجد الأهلية دون أن يسلم لمديرية الأوقاف ويقوم الأهالي بتعيين إمام وآذن له على نفقتهم الخاصة إلا إذا وجد متبرعون.

كان هذا هو الحال حتى سنة ١٩٩٥ عندما تم تشكيل السلطة الوطنية الفلسطينية، وتم تحويل المديرية إلى وزارة الأوقاف والشئون الدينية. وبدأت قضية القِبلة تأخذ أبعادا جديدة بين المصلين في المدينة كما أسلفت في بداية البند رقم (٤) فقد وضعت بعض الضوابط والبنود التي تعمد وزارة الأوقاف بالتدقيق فيها، ومن بينها القِبلة قبل البدء بترخيص المساجد الجديدة وتنفيذها، ويتم تقديم نسخ من المخططات لها من اجل هذه الغاية.

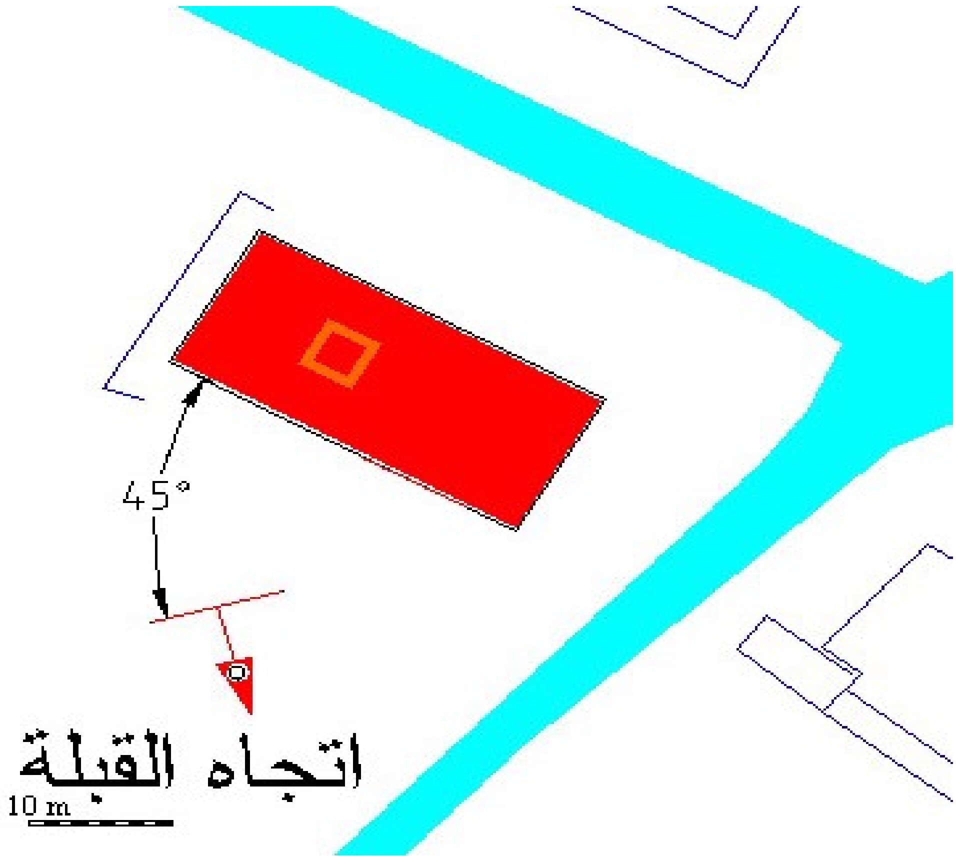
٦. حلول مقترحة لمشكلة القِبلة في مساجد نابلس

تتركز الحلول المقترحة لهذه المشكلة حول ثلاثة محاور: المحور الأول، وهو الحل الجذري، ويتضمن تعديل جدار القِبلة وصفوف الصلاة. والمحور الثاني، وهو الحل الاستدراكي، ويتم به تعديل صفوف الصلاة مع الإبقاء على وضع المسجد كما هو دون تغيير. أما المحور الثالث، فهو حل وقائي يتضمن تشديد الرقابة التنظيمية والشرعية على مشروعات بناء مساجد مستقبلية لمنع تكرار المشكلة فيها.

١,٦ تعديل جدار القِبلة

يتضمن هذا المحور حلا جذريا للمشكلة بحيث يضمن صحة الصلاة، ويتم بموجبه هدم جدار القبلة القائم، وبناء جدار قِبلة جديد بالاتجاه الصحيح نحو القِبلة. وهذا الحل ممكن لأي مسجد يسمح الموقع العام له بعمل توسعة في جهة القِبلة مما يستدعي توافر قطعة أرض فارغة من أي بناء أو مرور طريق فيها قد تغلق إذا تم هذا التعديل. ولقد تم اعتماد هذا التعديل في مسجد أبي بكر الصديق "رضي الله عنه" في منطقة المساكن الشعبية الشرقية، حيث كان في قِبلة هذا المسجد انحراف قدر بخمسٍ وأربعين درجة، انظر الشكل رقم (٩). وبعد اكتشاف هذا الأمر اضطر المصلون في المرحلة الأولى إلى تعديل صفوف الصلاة بالاتجاه الصحيح. واستمروا

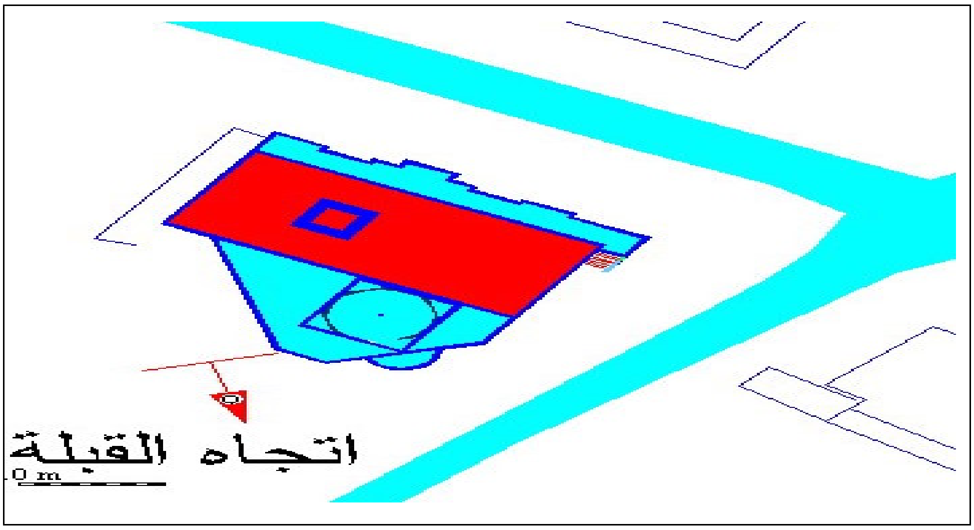
على هذه الحال قرابة السنتين، تم خلالهما الاتصال ببلدية نابلس وإعلامها بمشكلة انحراف القِبلة وضرورة حلها بشكل جذري. وبما أن هذا المسجد من تصميم مهندسي البلدية وإشرافهم، فقد أبدوا تعاونا ملحوظا للوصول إلى حل لهذه المشكلة، تمثل بتقديم قطعة أرض ملاصقة للمسجد من جهة القِبلة تكفي لتعديل جدار القِبلة، وتم تشكيل لجنة للإعمار تولت إعداد المخططات اللازمة وتجميع ما يلزم من الأموال، وتم بناء توسعة بشكل يشبه المثلث ملاصقة لجدار القِبلة القديم الذي تم هدمه لاحقا، انظر الشكلين رقم (١٠) و(١١).



شكل (٩): موقع مسجد أبي بكر الصديق في المساكن الشعبية الشرقية وزاوية الانحراف في قبلته قبل التعديل. (المصدر: الباحث).



شكل (١٠): جدار القِبلة الذي تم هدمه في مسجد أبي بكر الصديق في المساكن الشعبية الشرقية. (الباحث)



شكل (١١): مسجد أبي بكر الصديق في المساكن الشعبية الشرقية بعد التعديل (الباحث)

لكن مشكلة هذا الحل بتكاليفه المرتفعة، وعدم توافر متسع في الأراضي المجاورة من جهة القِبلة في أغلب المساجد التي تقع داخل الأحياء السكنية المكتظة، وفي العديد من الحالات يوجد شارع أو طريق في جهة القِبلة (انظر شكل رقم ٦ السابق) يجعل التعديل شبه مستحيل. وما تيسر لمسجد أبي بكر الصديق من الصعب أن يتيسر لبقية المساجد من قطعة الأرض المجاورة الخالية من المباني ومساحتها كبيرة وهي أيضا من أملاك البلدية، كل ذلك أسهم في إنجاح مشروع تعديل جدار القِبلة، انظر شكل رقم (١٢). أضف إلى كل هذا أن المساجد التاريخية في البلدة القديمة لها قيمة تراثية وهي محمية حسب الاتفاقيات الدولية لحماية التراث الثقافي، وليس من السهل إجراء أي عملية هدم وإعادة بناء لجدار قبلتها. أضف إلى كل هذا طبيعة النسيج العمراني للبلدة القديمة التي تجعل هذا الحل هنا صعب التطبيق.

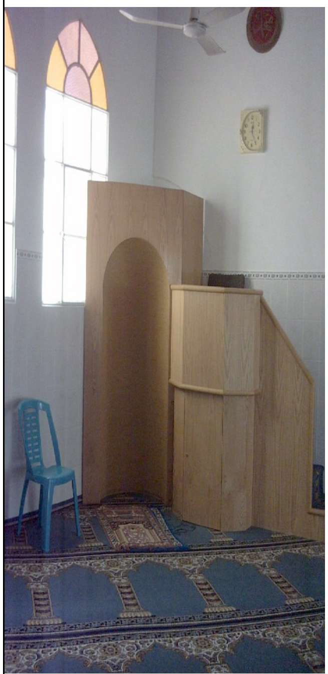


شكل (١٢): مسجد أبي بكر الصديق بعد انتهاء مشروع تعديل القِبلة (المصدر: الباحث).

٢,٦ تعديل صفوف الصلاة

وهذا هو الحل الاستدراكي لهذه المشكلة، وهو ممكن من الناحية النظرية في أي مسجد به انحراف في جدار قِبلته ولا يمكن هدم بنائه وإعادته لأي سبب من الأسباب. وفي المساجد الحديثة قد يكون هذا الحل معقولا ومقبولا لدى غالبية المصلين، نظراً لسعة قاعاتها، وقلة عدد الأعمدة وصغر حجمها. وهذا ما تم تطبيقه في العديد من هذه المساجد، منها على سبيل المثال لا الحصر:

مسجد فاطمة الزهراء في المساكن الشعبية الغربية (المعروفة باسم منطقة المخفية) والذي كان به ٤٥ درجة، ومصلى الحميدية في السوق الأخضر الذي ما زال به ١٣,٥ درجة من الانحراف حتى بعد أن تم تعديل صفوف الصلاة فيه، ومسجد الناطور في رفيديا الذي كان به ٣٦ درجة، وكذلك مسجد طارق ابن زياد في منطقة شارع عشرة الذي كان به ٤١ درجة انحراف في جدار قبلته. والشكل رقم (١٣) يوضح تعديل صفوف الصلاة وبناء منبر ومحراب جديدين في زاوية جدار القِبلة القائم في بعض المساجد الحديثة. أما المساجد القديمة فتطبيق هذا الحل أكثر صعوبة، وغالبا ما يلاقي معارضة كبيرة من المصلين كما تم تفصيله في البند ٣,١,٥. وهنا يبرز دور العلماء والوعاظ في ضرورة التوفيق بين المسلمين والعمل على إقناعهم في الدروس والمواعظ بأهمية استقبال القِبلة بشكل صحيح كشرط

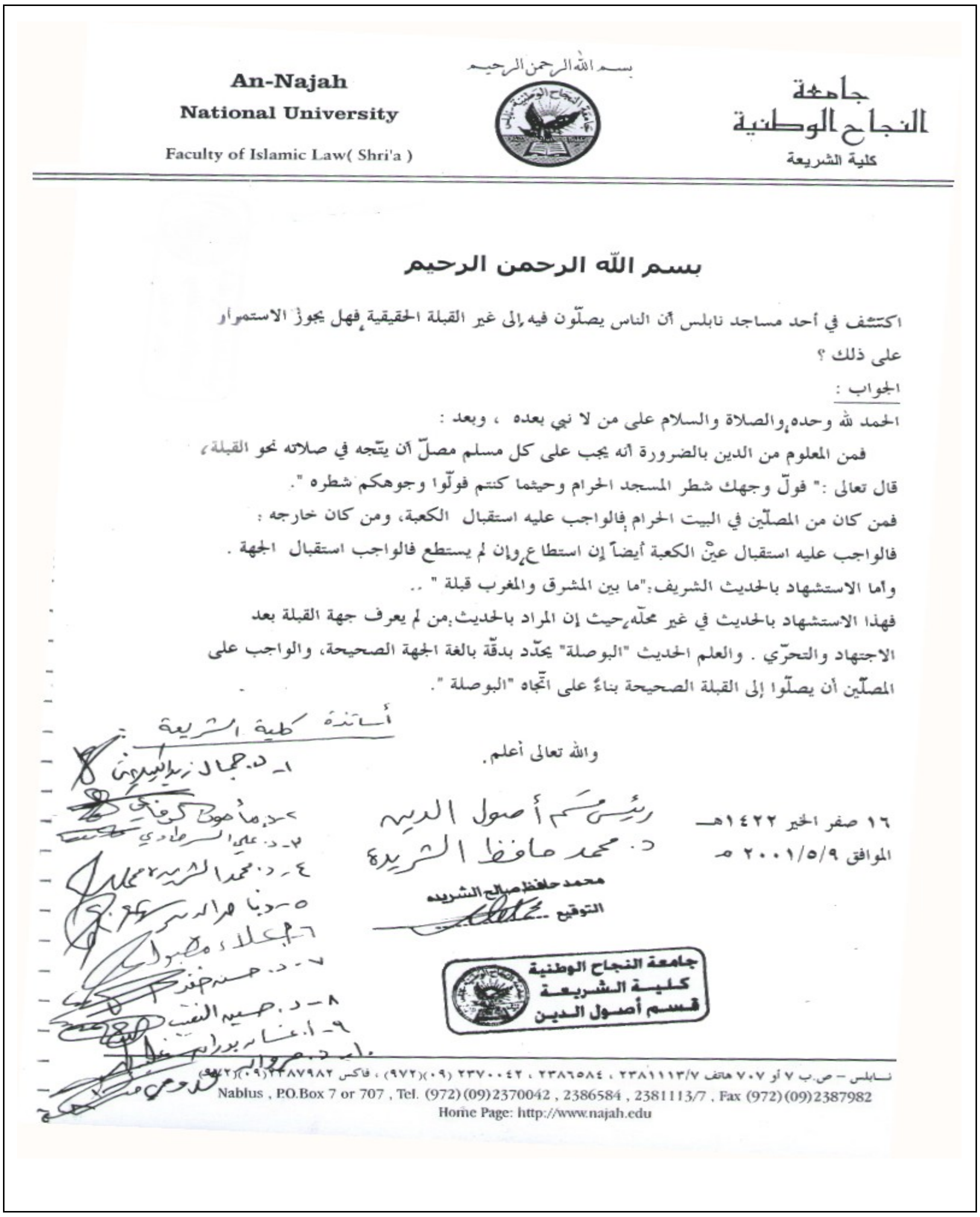
مسجد طارق بن زياد	مسجد الناطور	مسجد الحميدية
		

شكل (١٣): بعض الصور الداخلية في المساجد التي تم تعديل صفوف الصلاة بها، انظر المحراب والمنبر الخشبيين الذين تم إضافتهما إشعارا باتجاه القِبلة الصحيح، علما أن المحراب والمنبر القديمين لا يزالان قائمان. (تصوير طلبة قسم الهندسة المعمارية / جامعة النجاح الوطنية /٢٠٠٤).

من شروط صحة الصلاة، حتى يتم التوصل إلى اتفاق بين أهل المسجد على ضرورة التعديل خصوصا إذا كانت درجة الانحراف كبيرة. وهذا ما حدث في مسجد الأنبياء الذي يعتبر من أهم المعالم التاريخية في مدينة نابلس، وطبيعة الفراغات الداخلية فيه صغيرة نوعا ما وأعمدته ضخمة، وعلى الرغم من هذا فقد تم تعديل صفوف الصلاة فيه دون أي مشاكل أو خلاف بين المصلين فيه. ويمكن تطبيق هذا الحل بسهولة ويسر في مسجد الخضراء لما يمتاز به من كبر مساحة القاعات فيه وخلوها من الأعمدة الداخلية علاوة على قلة الانحراف في جدار قبلته (تسع درجات نحو جهة الغرب). أما في المساجد التاريخية الأخرى التي لم يتم تعديل صفوف الصلاة، حتى الآن، فالصلاة فيها بهذه الحال جائزة كما أفتى بذلك مجلس الفتوى الأعلى: "أما بالنسبة للمساجد القديمة فان يرى أن تبقى على حالها كما هي دون تعديل، لأن أي تعديل في قبلتها سيؤدي إلى فتنة بين المسلمين وخاصة أن هذه المساجد بنيت منذ مئات السنين ولا داعي لإحداث تغيير فيها".(فتوى رقم ٤/٩٦/١٤) وبالقياس فإن هذه الفتوى تصلح أيضا في بعض المساجد الحديثة إذا خشي وقوع الفتنة بين المسلمين. ولكن لا بد من الإشارة هنا إلى انه لا بد من العمل على إقناع معارضي التعديل بشكل تدريجي وبطول النفس وبالحكمة والموعظة الحسنة حتى يتم هذا الأمر مهما طال الوقت، وهذا ما أكده أساتذة كلية الشريعة في جامعة النجاح الوطنية بالفتوى الموضحة في شكل رقم (١٤).

٣,٦ تشديد الرقابة التنظيمية والشرعية

وهو الحل الوقائي لضمان عدم تكرار مشكلة القِبلة في المساجد المنوي إقامتها مستقبلا وذلك عن طريق سن القوانين والتشريعات الضرورية لتدقيق المخططات الهندسية قبل تنفيذ مشاريع المساجد الجديدة وأثناءها. وهذا هو دور وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، بالتعاون مع بلدية نابلس.



An-Najah
National University
Faculty of Islamic Law(Shri'a)

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة
النجاح الوطنية
كلية الشريعة

بسم الله الرحمن الرحيم

اكتشف في أحد مساجد نابلس أن الناس يصلّون فيه إلى غير القبلة الحقيقية، فهل يجوز الاستمرار على ذلك ؟

الجواب :

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد :

فمن المعلوم من الدين بالضرورة أنه يجب على كل مسلم مصلّ أن يتّجه في صلاته نحو القبلة، قال تعالى :" فولّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولّوا وجوهكم شطره ".

فمن كان من المصلّين في البيت الحرام، فالواجب عليه استقبال الكعبة، ومن كان خارجه : فالواجب عليه استقبال عينْ الكعبة أيضاً إن استطاع، وإن لم يستطع فالواجب استقبال الجهة .

وأما الاستشهاد بالحديث الشريف: "ما بين المشرق والمغرب قبلة " ..

فهذا الاستشهاد بالحديث في غير محلّه، حيث إن المراد بالحديث: من لم يعرف جهة القبلة بعد الاجتهاد والتحرّي . والعلم الحديث "البوصلة" يحدّد بدقّة بالغة الجهة الصحيحة، والواجب على المصلّين أن يصلّوا إلى القبلة الصحيحة بناءً على اتّجاه "البوصلة ".

والله تعالى أعلم.

أساتذة كلية الشريعة

١- د. جمال زيد الكيلاني
٢- د. مأمون الرفاعي
٣- د. علي السرطاوي
٤- د. محمد الشريدة
٥- د. ...
٦- د. علاء مطاوع
٧- د. حسن خضر
٨- د. حسين النقيب
٩- أ. ...
١٠- د. ...

١٦ صفر الخير ١٤٢٢هـ
الموافق ٢٠٠١/٥/٩ م

رئيس قسم أصول الدين
د. محمد حافظ الشريدة

محمد حافظ صالح الشريده
التوقيع

جامعة النجاح الوطنية
كليـة الشريعـة
قسم أصول الدين

نابلس – ص.ب ٧ أو ٧٠٧ هاتف ٢٣٨١١١٣/٧ ، ٢٣٨٦٥٨٤ ، ٢٣٧٠٠٤٢ (٠٩)(٩٧٢) ، فاكس ٢٣٨٧٩٨٢ (٠٩)(٩٧٢)
Nablus , P.O.Box 7 or 707 , Tel. (972) (09)2370042 , 2386584 , 2381113/7 , Fax (972) (09)2387982
Home Page: http://www.najah.edu

شكل (١٤): فتوى أساتذة كلية الشريعة في جامعة النجاح الوطنية بخصوص قبلة المساجد في نابلس.

٧. النتائج والتوصيات

- استقبال القِبلة شرط من شروط صحة الصلاة، وعلى المسلم أن يبذل كل ما في وسعه لتحديد الاتجاه الصحيح لقِبلته، وأن يستقبلها في صلاته كلها سواء في بيته أو في عمله أو في أي مكان آخر. وهذه دعوة للتحقق من قِبلة كل المساجد قديمها وحديثها وفي أي مكان وجدت.
- المسلمون السابقون كان عندهم العلم والأدوات اللازمة لتحديد الاتجاهات والأماكن بشكل عام وتحديد القِبلة بشكل خاص، ومع ذلك لم يعملوا على تعديل قِبلة المساجد القديمة في مدينة نابلس (منطقة البحث)، وهذا ليس حجة علينا وان صلاتهم كانت صحيحة .
- على المصلين في أي مسجد يوجد به انحراف في قِبلته، عمل كل ما في وسعهم لتعديل القِبلة، إما بتعديل صفوف الصلاة في هذه المساجد، أو تعديل جدار القِبلة إذا كان ذلك مستطاعا. وكل ذلك بعد الاتفاق فيما بينهم على الحل الأمثل لمسجدهم ووفق الإمكانات المتاحة.
- على كافة الوزارات والهيئات والمجالس البلدية والقروية العمل على سن وتطبيق القوانين التنظيمية التي تضمن صحة القِبلة في كافة مشاريع بناء المساجد الجديدة، وكذلك تشديد الرقابة التنظيمية والشرعية لضمان تنفيذ المخططات الهندسية على أرض الواقع للعمل على وضع حد لتفاقم مشكلة انحراف القِبلة وعدم تكرارها.

٨. خلاصة الدراسة

تخلص هذه الدراسة إلى وجود انحراف كبير في اتجاه القِبلة في عدد كبير من مساجد مدينة نابلس بدءاً من المساجد التاريخية وانتهاءً بالمساجد التي بنيت قبل سنة ١٩٩٦ ميلادية. حيث ظهرت مشكلة القِبلة في مدينة نابلس بشكل خاص بعد أن أحضر حجاج بيت الله الحرام سجاجيد صلاة بها بوصلة للقبلة. فشرع المصلون في عدد من بيوت الله في تصحيح صفوف الصلاة تاركين جدران القِبلة في مساجدهم دون أي تغيير وذلك لعدم وجود إمكانية تعديل جدار القِبلة إما لعدم توفر الأراضي اللازمة حسب موقع المسجد أو لوجود طريق في جهة القِبلة أو لعدم توفر الأموال اللازمة لعمل التعديل المطلوب وتنفيذه. أما بالنسبة للمساجد التاريخية القديمة، فقد أوضحت الدراسة صعوبة إجراء أي تعديل في جدران القِبلة لتلاصق المباني والنسيج العمراني في البلدة القديمة، أو لوجود طرق في جهة القبلة في العديد من المساجد، مما اضطر المصلون إلى العمل على تعديل صفوف الصلاة في مسجد واحد حتى الآن، حيث لم تلق هذه المحاولات القبول لدى كثير من المصلين، وذلك لوجود عدد كبير من الأعمدة الضخمة في غالبية هذه المساجد وقلة طول صفوف الصلاة وكثرة الانقطاع بها. وحيث إن استقبال القِبلة ضرورة شرعية فمن الواجب العمل على إيجاد اتفاق بين المصلين بشكل تدريجي دون إحداث أي فتنة بينهم. وهذا هو دور العلماء والوعاظ ومسئولية وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، إضافة إلى دورها المشترك مع كافة البلديات ووزارة الحكم المحلي في ضمان عدم تكرار مشكلة القِبلة هذه عن طريق فرض القوانين التنظيمية لتدقيق اتجاه القِبلة وضبطها في كل مشاريع بناء مساجد جديدة.

٩. المصادر والمراجع

- سابق، السيد، "فقه السنة"، ج١، بيروت – لبنان، (١٩٧٣).
- بيشاوي، سعيد، "نابلس ودورها في الصراع الإسلامي الصليبي"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإسكندرية، جمهورية مصر العربية، (١٩٨٤).
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله. "الجامع الصحيح المختصر"، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق، (١٩٨٧).
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، "سنن أبي داود"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الفكر، (بدون تاريخ).
- كلبونة، عبد الله، "المساجد الأثرية في مدينة نابلس"، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي للآثار الإسلامية، جامعة القدس، (١٩٩٨).
- Abdali, Kamal. "The Correct Qibla", Washington, USA, (1997).

- مواقع من الشبكة العالمية: تم تسجيلها في تشرين الثاني ٢٠٠٤:
- http://explanation-guide.info/meaning/Kaaba.html
- http://moonsighting.com/qibla.html#moon
- http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/scince-17/scince.asp.htm
- http://i-cias.com/e.o/qibla.htm
- http://www.albayan.co.ae
- http://www.altshkeely.com 2003/index.html
- http://mmsec.com/mail.htm